المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
معهد دراسات الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة



ضوابط التفسير العلمي

إعداد

أ . د. فهد بن عبدالرحمن الرومي

أستاذ الدراسات القرآنية بجامعة الملك سعود

الرياض

١٤٣٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

كلمة عميد معهد دراسات الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة



الحمدلله القائل " ولتعلمُنّ نبأه بعد حين"، والصلاة والسلام على خير الأنام، وعلى آله وصحبه أولي الفضل والإكرام. أما بعد :

فإنطلاقاً من خطة معهد دراسات الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في إقامة اللقاءات العلمية المتخصصة في ضوابط الإعجاز العلمي ؛ واستضافة المتخصصين في مجال علوم القرآن الكريم والسنة النبوية. وبناءً على موافقة معالي وزير التعليم العالي – يحفظه الله – ذي الرقم (٧٤٢٣٢) بتاريخ (١٤٣٤/٧/٥هـ)

وبناء على التوجيه الكريم من معالي أ.د. مدير الجامعة – يحفظه الله -

أقام معهد دراسات الإعجاز العلمي في القرآن والسنة لقاء ضوابط التفسير العلمي لفضيلة أ.د.فهد بن عبدالرحمن الرومي أستاذ الدراسات القرآنية بجامعة الملك سعود ؛ وذلك يوم الأربعاء الموافق ١٤٣٤/١١/١٩هـ.

ولقد أجاد وأفاد فضيلة الدكتور ببحثه الذي كان عنوانه (ضوابط التفسير العلمي) ؛ ويتشرف المركز بنشره.ونسأل الله تعالى أن يكون هذا البحث منطلقاً لوضع الضوابط الخاصة بالإعجاز العلمي.

لقد كان لزاماً على معهد دراسات الإعجاز العلمي في القــرآن والسنة، أن يضع ضوابط علمية يشارك فيها نخبة من المتخصصــين في الإعجــاز العلمــي، والقــرآن وعلومــه، والــسنة وعلومهــا. لكي نصل إلى منهج علمي سليم نسترشد فيه بأقوال علمائنا الأجلاء، ومنهم فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله تعالى. حيث جاء في فتاويه في المجلد الثــامن والعــشرين قولــه رحمــه الله "فالإعجاز العلمي في الحقيقة لاننكره ولاننكر أن في القرآن أشياء ظهر بيانها في الأزمنة المتأخرة. لكن غالى بعض الناس في الإعجاز العلمــي حتى رأينا من جعل القرآن كأنه كتاب رياضة وهذا خطأ .

ثم قال تغمده الله برحمته : إن المغالاة في إثبات الإعجاز العلمــي لاتنبغي لأن هذه قد تكون مبنية على نظريات، والنظريات تختلف .. إلى آخر كلامه رحمه الله.

وإننا في معهد دراسات الإعجاز العلمي لنحرص كــثيراً علــى الإلتزام بهذا المنهج المعتدل وفق توجيهات معالي مدير الجامعة حيــث أكد مراراً بالحرص على ذلك.

وكان آخرها حينما زار معاليه جناح المركز بصحبة معالي الشيخ الدكتور عبدالرحمن السديس الرئيس العام لشؤون المــسجد الحــرام والمسجد النبوي.

وأكد على ضرورة ضبط الإعجاز العلمي من الإنفلات الحاصل اليوم في بعض وسائل الإعلام والتواصل الإجتماعي.

لقد حقق المعهد بفضل الله عزوجل العديد من الإنجازات ولله الحمد فمنها :

١- توقيع اتفاقية مشتركة مع الهيئة المغربية للإعجاز العلمي في الرباط.

٢- توقيع اتفاقية مع مشروع تعظيم القرآن الكريم بالمدينة النبوية.

٣- تم إصدار دليل للمؤلفات في الإعجاز العلمي.

٤-على وشك الإنتهاء من إصدار معجم لمصطلحات الإعجاز العلمي.

وتم استكتاب عدد من أعضاء هيئة التدريس لتأليف كتب متخصصة في مجالات الإعجاز العلمي.

وتمت موافقة معالي مدير الجامعة على إقامة دورات تدريبية، وندوات مشتركة مع الكليات في الإعجاز العلمي.

نتمنى بذلك أن نحقق طموحات أهداف جامعتنا الكريمة. في ظل توجهيات ولاة أمرنا أعزهم الله بطاعته، وعلى رأسهم خادم الحرمين الشريفين، وولي عهده الأمين وسمو النائب الثاني أثابهم الله على دعمهم وتشجيعهم للجامعات والمراكز العلمية.

وأشكر المسؤلين في الجامعة على تعاونهم مـــع المعهـــد وتـــذليل صعوباته ؛ وشكراً لكل يد عملت، وكل عين سهرت، خدمة لكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

وأخص بالشكر الأخوة الزملاء في معهد دراســـات الإعجـــاز العلمي في الكتاب والسنة والأخوة في مطابع الجامعة ؛ على تعـــاونهم الكريم خدمة للعلم وأهله. والله الموفق.

أ.د. أحمد بن عبدالله الباتلي

عميد معهد دراسات الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة.



محاضرة

ضوابط التفسير العلمي

أ.د. فهد بن عبد الرحمن الرومي
أستاذ الدراسات القرآنية
جامعة الملك سعود

في مركز دراسات الإعجاز العلمي في القرآن والسنة
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض
في يوم الأربعاء ١٩ / ١١ / ١٤٣٤ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص المحاضرة

يهدف المحاضر إلى إثراء قضية ضوابط التفسير العلمي بعد أن انقسم الباحثون فيه إلى مؤيد ومعارض، فقد هال طائفة من العلماء هذا الاندفاع والتداعي من بعض الباحثين للكتابة في التفسير العلمي بلا ضوابط حتى خرج بعضهم عن حد القبول وجاوزه بعضهم إلى مخالفة ثوابت الإسلام مما حمل تلك الطائفة على معارضته ومحاربته وتصيد أخطاء المؤيدين وزلاتهم، ورأت طائفة في التفسير العلمي ما يوقف على أمر عجب يبعث على الوصول إلى حقيقة أن هذا الإعجاز العلمي لا يمكن أن يكون رأي بشر وليس للبشر كلهم أن يأتوا بمثله أو أن يكتشفوه في عصر نزول القرآن الكريم فرأوا أن كشف هذا الإعجاز أمر دعوي مطلوب وهو من أوجه الإعجاز القرآني المتجددة، وقد قلت في بحث لي سابق عن البدهيات في القرآن الكريم:

أن القرآن يأبى إلا أن يكشف في كل عصر وجهاً من أوجه الإعجاز ليظهر للناس أن القرآن ليس لأمة دون أمة ولا لعصر دون عصر ولا لجيل دون جيل ولا لطائفة من العلماء دون طائفة بل سيجد فيه علماء اللغة، والبلاغة، والتشريع، والإصلاح، والعلوم، والرياضيات، وغيرهم من وجوه الإعجاز ما يناسبهم في كل عصر من العصور. إلا أن هذا لا يعني الاندفاع الذي نراه في التفسير العلمي من

طائفة بلا ضوابط، ولا موازين، ولا شروط. فالأمر يقتضي كبحاً لجماح الخروج عن الصراط وإظهاراً لوجه من الإعجاز جديد، التداعي والتعاون لوضع ضوابط للتفسير العلمي تضبط مساره وتحكم نتائجه.

و قد نظر المحاضر فيما وضعه العلماء من ضوابط للتفسير العلمي ناقداً ومضيفاً فذكر من الضوابط:

١- ثبوت الحقيقة العلمية ثبوتاً قاطعاً لا مرية فيه وتوثيق ذلك علمياً بما يتجاوز بها مرحلة النظرية العلمية إلى الحقيقة العلمية.

٢- الدلالة القرآنية الظاهرة على الحقيقة العلمية دون تكلف أو تعسف في الاستدلال؛ وتحقق المطابقة بين دلالة النص وتلك الحقيقة العلمية.

٣- عدم مخالفة الثوابت في العقيدة والشريعة واللغة.

٤- التجرد عن الهوى والالتزام بالدليل الصحيح.

٥- الالتزام بذكر الحقيقة العلمية وعدم الغلو في النتائج.

٦- أن لا يخالف التفسير نصاً آخر من القرآن أو صحيح السنة.

٧- التفسير يجب أن يكون بمقتضى اللغة العربية ومدلولاتها وقت نزول القرآن الكريم.

٨- عدم الخوض في المتشابه الذي لا يمكن أن يعلمه إلا الله مما لا يمكن الوصول إليه ولا معرفته.

٩- الابتعاد عن تسفيه آراء السلف في التفسير والحديث وغمطهم الحق ورميهم بالجهل.

١٠- اجتناب العبارات التي تشعر بأن الباحث يدافع عن القرآن أو السنة أو أنهما يحتويان ما يمكن أن يعبر عنه بالنقص أو الخطأ.

١١- ألا تطغى تلك العلوم على المقصود الأول من القرآن وهو الهداية والإرشاد.

١٢- أن تذكر تلك العلوم لأجل تعميق الإيمان والشعور الديني لدى المسلمين والدفاع عن العقيدة ضد أعدائها والدعوة إلى الإسلام.

١٣- ألا تذكر هذه الأبحاث على أنها التفسير الذي لا يدل النص القرآني على سواه.



ضوابط التفسير العلمي

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى، أما بعد:

فإني أشكر بدايةً بعد شكر الله تعالى الذي منّ علي بهذا اللقاء معكم، أشكر معالي مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية معالي الشيخ الأستاذ الدكتور سليمان بن عبد الله أباالخيل الذي تفضل بالحضور إلى هذا اللقاء العلمي وأحسب أن حضوره رغم تزاحم أشغاله ما هو إلا رغبة في تشجيع الباحثين ودعم مسيرة البحث العلمي ورسالة ذات مغزى لمن فترت همته من الباحثين بأن طالب العلم الشرعي لا ينبغي أن ينشغل عنه بأمر آخر.

كما أشكر فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور أحمد بن عبد الله الباتلي المدير التنفيذي لمركز دراسات الإعجاز العلمي في القرآن والسنة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية والعاملين معه على ما يقومون به من جهود كبيرة لنشر رسالة المركز وتطويرها.

و من واجبي هنا أن أدعو جميع المختصين بالدراسات القرآنية لدعم المركز وأمثاله وإعانتهم على القيام بمهامهم وأداء رسالتهم السامية فهي رسالة الجميع.

ثم أقول:

إن خطاب الدين الإسلامي للناس كافة في كل مكان وفي كل زمان ولهذا كانت معجزته خالدةً باقيةً محفوظةً حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ولعل ذلك يقتضي أمرين:

- ديمومة الإعجاز.
- و تجدده.

و القوم حين نزل القرآن كانوا عرباً خلّصاً أدركوا من فورهم وبسليقتهم العربية وذوقهم السليم بلاغة القرآن وفصاحته، وأدركوا – و هم أرباب الفصاحة والبلاغة- أنه لا يمكن لأحدٍ أن يأتي بمثله ولو ابتغى نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء.

وظل هذا الإعجاز اللغوي البلاغي يتجدد ويكشف منه علماؤه في كل حين وجهاً بلاغياً أو لغوياً جديداً وما زال هذا العطاء نهراً متدفقاً لا يتوقف وبحراً متلاطماً لا يجف.

وظل العلماء في كل عصرٍ يكشفون وجهاً جديداً أو يدرسون قديماً فجاءت ألوانٌ من الإعجاز القرآني، الغيبي، والتشريعي، والاجتماعي، والنفسي، والعلمي.

وكل وجه من هذه الأوجه تناوله العلماء وبينوه وصنفوا فيه مصنفاتهم، وضربوا له الأمثلة وبسطوه، وليست هذه الأوجه للإعجاز القرآني على درجةٍ واحدةٍ ففي هذه الأوجه من الإعجاز ما لا يختلف فيه اثنان، ولا ينتطح فيه كبشان، وفيها ما وقع فيه خلاف بين معارض ومؤيد. ومن أشهر الوجوه التي وقع فيها خلاف من أوجه الإعجاز في القرآن واتسع نطاقه في هذا العصر نطاق الحديث عن:



التفسير العلمي

إن أول ما يلفت أنظارنا في هذا اللون من التفسير اسمه (التفسير العلمي) مجرداً من القيد مما قد يوحي بصورة أو أخرى بسؤال استنكاري أو ليست العلوم الأخرى كالعقيدة، والفقه، والحديث، واللغة، بعلوم ؟!!.

وقد عولجت هذه القضية بقيد (التجريبي) إذ هو العلم الذي يخضع للتجارب المعملية والمخبرية ويحدد العلم المراد من هذه العلوم، وإذا تجاوزنا هذه المسألة فالمؤيدون للتفسير العلمي والمعارضون له أيضاً كلهم بلا استثناء يقرون ويعترفون: (بأن القرآن الكريم لم ولن يصادم حقيقةً علميةً).

لم يقولوا هذا عن عاطفةٍ مجردة، و لم يقله أتباع القرآن فحسب، وإنما قاله أولئك، وقاله خصومه أيضاً، بعد أن تناولوا آيات عديدة منه، وقلبوها دراسةً، وتأملاً، وتدبراً، ونظروا فيما بين أيديهم من النظريات والحقائق العلمية حتى انتهوا إلى ما انتهوا إليه.

وقد يحسب أحد أن السلامة من مصادمة الحقائق العلمية أمر هين. فما على المتكلم إلا أن يجتنب الخوض في مجالاتها، ويحذر من الوقوع في مبهمات العلوم، وغوامض المعارف، وأسرار الكون، وخفايا العلم، وبذا يظفر بهذه السمة. والأمر حق لو كان القرآن قد سلك هذا

المسلك لكنه وقد أُنزل قبل أربعة عشر قرناً من الزمن، عرض لكثير من مظاهر هذا الوجود الكونية؛ كخلق السماوات والأرض، وخلق الإنسان، وسوق السحب وتراكمه، ونزول المطر، وجريان الشمس والقمر، وتحدث عن الكواكب، والنجوم، والشهب، وأطوار الجنين والنبات والبحار، وغير ذلك كثير، ومع ذلك كله لم يسقط العلم كلمةً من كلماته، و لم يصادم جزئيةً من جزئياته(١)، فإذا كان الأمر كذلك فإن هذا بحد ذاته يعتبر إعجازاً علميّاً للقرآن(٢).



---

(١) انظر كتابي خصائص القرآن الكريم : ص ٧٥-٧٦

(٢) من كتابي دراسات في علوم القرآن الكريم : ص٣٢١-٣٢٢

هذه النتيجة المتولدة عن أن القرآن لم ولن يصادم حقيقةً علميةً، لم أرَ بين علماء المسلمين من أنكرها، في القديم ولا في الحديث، وكل ما يثار من ضجة وما يسطر في الصحف ما هو إلا عن التفسير العلمي لا عن الإعجاز العلمي.

قال الشيخ **محمد بن صالح بن عثيمين** -رحمه الله تعالى-: (الإعجاز العلمي في الحقيقة لا ننكره، لا ننكر أن في القرآن أشياء ظهر بيانها في الأزمنة المتأخرة)[1].



---

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ج ٢٦ ص ٢٨

إذاً فالإعجاز العلمي قاعدةٌ صُلْبة يقف عليها المسلمون جميعاً بكل ثقة وكل أمن؛ **إلا أن طائفة منهم قالت:** ما دام الإعجاز العلمي متحققاً في القرآن وثابتاً فما علينا أن نطبقه بين آياته واحدة واحدة، والحقائق العلمية واحدة واحدة.

وامتنعت طائفةٌ أخرى عن تطبيقه ليس لخوفٍ على القرآن من النقض، وليس لخشيةٍ على حقائقه؛ ولكن لعدم الثقة في مداركنا نحن البشر؛ فقد نحسب اليوم نظرية علمية حقيقة علمية، فما تلبث قليلاً إلا وتتقوض بعد رسوخ وتتزعزع بعد ثبوت ولات حين مناص نقع في الحرج الشديد؛ فيكذّب القرآن وهو الصادق فتكون البلية، فالعيب والنقص في مداركنا وليس في حقائق القرآن.

إذاً فالمسلمون جميعاً يقولون بالإعجاز العلمي للقرآن؛ ولكنهم يختلفون في التفسير العلمي. هذا ما أحببت الإشارة إليه وبيانه، وكنت أظن هذا من الوضوح بما لا يخفى حتى رأيت أحد الباحثين يعقد مبحثًا في رسالته، ويقسم العلماء إلى قسمين: الأول: القائلين بالإعجاز العلمي للقرآن، والثاني: المانعين من القول بالإعجاز العلمي، وساق نصوصاً لهؤلاء يرفضون بها التفسير العلمي، وحَسِبَهم ينكرون بها الإعجاز العلمي.

ولذا فإنا ندعو علماء المسلمين عامةً والمختصين بالدراسات القرآنية خاصةً إلى وضع الضوابط للتفسير العلمي حتى لا تزل به الأقدام.

ضوابط التفسير العلمي:

لما كثر المحاضرون والمؤلفون في الإعجاز العلمي في العصر الحديث وجدت وسائل إيضاح لم تكن عند السلف من صور، وأفلام، ورسوم، ومعامل، ومختبرات، وكثرت المؤتمرات، والندوات، واللقاءات العلمية عنه كاد هذا الوجه من التفسير أن يصبح أكثر من وجه، كالتفسير الكوني للآيات القرآنية، والتفسير الفيزيائي، والتفسير في علم النبات والحيوان، والتفسير الطبي، والتفسير النفسي، وغيرها.

وكثر الخلاف في التفسير العلمي وانقسم الناس فيه بين غالٍ وجافٍ، وما حمل المعارضين على الاعتراض إلا حب القرآن والخشية عليه أن يقع انحراف في تفسيره وخروجٍ عن سبيله وصرف عن معانيه، وما حمل أغلب المؤيدين له إلا حب هذا القرآن والحرص على إقناع الناس على مختلف طوائفهم به وإقناعهم بأنه كلام الله تعالى وأنه لا يمكن أن يكون من كلام بشر دعوةً لدين الله ونشراً لكتابه، وحين ينظر المتأمل بين الفريقين يجد أن بينهما طريقاً يسراً، ففي الحين الذي نرى **بعض المغالين** في التفسير العلمي الذين يتكلفون في تقرير نظرياتهم لا يلتزمون بمنهج علمي سليم في تقريره وليس لهم من العلم الشرعي ما

يؤهلهم للحديث عن أدنى قضية شرعية فضلاً عن تقرير قضايا قرآنيـــة كبرى حتى تخبطت فئةٌ من هؤلاء أحياناً إلى ما يخالف الثوابت الشرعية كل هذا وغيره ولد **طائفة** أنكرت هذا اللون وحاربته ورأت أنـــه لا يمت للإعجاز بصلة، ورأت **طائفةٌ ثالثةٌ أخرى** رأياً وسطاً، والوسطية خير، أن في هذا اللون من التفسير حقائق ثابتة، وصوراً مرئية، ونتائج ملموسة، وآثاراً محمودة، وفوائد ظاهرة مع ما شابه من شوائب صور الانحراف والخروج عن الحق وليس من الـــصواب أن نـــساوي بـــين الأمرين ونرفض حق محق لباطل مبطل، **فكان تداعي الوسطيين لوضع ضوابط للتفسير العلمي** تضبط أصوله وترسم معالمه وتحدد منهجـــه لزاماً على علماء الشريعة وعلى الغيورين على هذا الدين مهما كانت علومهم ومعارفهم فما الدافع لعلماء الطب، والـــصيدلة، والهندســـة، والرياضيات، لبث اكتشافاتهم في تخصصاتهم العلمية الموافقة للقرآن إلا حب هذا الدين وإظهار صدقه وربانيته والرغبـــة في نـــشره وإعـــلاء كلمته وهم بحاجة إلى من يعينهم على ضبط أبحاثهم ووضع القواعـــد السليمة والطرق الصحيحة والضوابط المحكمة والموازين الدقيقة حتى لا يخرجوا عن الحب السليم إلى الحب القاتل فمن الحب ما قتـــل وقـــد

حاولت في هذه العجالة مستنداً إلى دراسات سابقة أن أذكر مـــا أراه من ضوابط للتفسير العلمي الذي ينبغي أن يكون.



ضوابط التفسير العلمي:

١- ثبوت الحقيقة العلمية ثبوتاً قاطعاً لا مرية فيه وتوثيق ذلك علمياً بما يجاوز بها مرحلة النظرية العلمية إلى الحقيقة العلمية ويقتـــرن هـــذا بثبوت استحالة معرفة البشر بتلك الحقيقة العلمية وقـــت نـــزول القرآن على الرسول ﷺ وأنها لم تعرف إلا بعد عصره.

٢- الدلالة القرآنية الظاهرة على الحقيقة العلمية دون تكلف أو تعسف في الاستدلال؛ وتحقق المطابقة بين دلالة الـــنص وتلـــك الحقيقـــة

العلمية. فقد رأيت بعض من يتكلف في تقرير بعض النظريات ويتعسف في حمل النص القرآني عليها فمن الحقائق القرآنية والتاريخية الثابتة والظاهرة أن أصحاب الكهف لبثوا في كهفهم ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعاً وهو صريح القرآن، ولذا نعجب حين نرى من يزعم أن أصحاب الكهف لبثوا في كهفهم إحدى عشرة سنة فقط [1]، وزعم آخر أنهم لبثوا ٣٩٠ سنة[2]، وليس في النص القرآني ما يدل على هذا المعنى بل هو صريح في المخالفة لذا نجد التكلف الظاهر والتعسف البين في التوفيق بين دلالة النص الظاهرة ونظرياتهم الباطلة. ومن هذا النوع ما زعمه آخر أن المدة التي قضاها نوح عليه السلام لدعوة قومه ليست ٩٥٠ عاماً –مع أن هذا صريح القرآن– بل زعم أنها سبعة عشر عاماً فقط مستنداً في ذلك إلى أنه جمع قيم الآية (١٤) من سورة العنكبوت وقيم حروف كلمة (نوح) وعدد مرات ذكره وأموراً أخرى وجمع، وعكس، ورصف، وقسم، واستخدم، ترميزه الأول والثاني والبائي

(١) أسرع الحاسبين : عاطف صليبي ص٢٥٢ –٢٦٧ عن مقولة الإعجاز العددي ص٥٢–٥٣ .

(٢) أهل الكهف بين العدة والمدة : عطية زاهدة ص ٧٥ .

حتى وصل إلى هذه النتيجة[1]. ويذكرني هذا بما ذكره عبد القادر المغربي في تفسيره لجزء تبارك أن عمر نوح لما حصل الطوفان كان ٦٠٠ سنة[2]، وقد علقت عليه مراقبة الثقافة بالأزهر بما يلي: "قوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ ﴾[3]، يفيد أن الطوفان حدث بعد أن أمضى نوح بين قومه ٩٥٠ سنة، فالقرآن يخالف في ذلك ما نقله المؤلف عن الأسفار القديمة"[4].

٣- عدم مخالفة الثوابت في العقيدة، والشريعة، واللغة، وذلك أنه لا يمكن وقوع الاختلاف بين ما يدل عليه القرآن ويرشد إليه وثوابت هذا الدين فلا يصح أبداً أن يدل فهم صحيح لإشارة قرآنية أو دلالة معينة على ما يخالف الثوابت في العقيدة أو الشريعة وكل نتيجة يؤدي إليها التفسير العلمي لآيات قرآنية تخالف نصاً صريحاً للقرآن أو للسنة أو ما هو من الثوابت الشرعية فإنها باطلة لا تصح. وقد رأينا من بعض غلاة التفسير العلمي من يخالف الثوابت

---

(١) أسرع الحاسبين : عاطف صليبي ص٢٦٨ -٢٧٤ عن مقولة الإعجاز العددي ص ٥٤-٥٥ .

(٢) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربي ص٥٦ .

(٣) سورة العنكبوت : الآية ١٤

(٤) المرجع السابق :ص ٥٦ .

الشرعية ومن ذلك الزعم بالعلم بوقت قيام الساعة وهو مما لا يعلمه إلا الله فقد زعم أحدهم أن موعد قيام الساعة سنة ١٧١٠هـ ٢٢٨٠م، ولا شك أن هذا مما لا يعلمه إلا الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾[(١)]، ومن المعلوم يقيناً أنه لا يصح لأحد أن يفسر القرآن الكريم وهو لا يعلم الثوابت الشرعية المقررة في العقيدة أو الشريعة.

٤- التجرد عن الهوى والالتزام بالدليل الصحيح. فإن صاحب الهوى يدفعه هواه إلى تجاوز الفهم الصحيح للآية والمعنى الصريح إلى ما يوافق هواه وهذا ما هو حاصل ليس في مجال التفسير العلمي خاصةً بل في التفسير عامةً وقد صرح ابن تيمية -رحمه الله تعالى- عن طائفة من أهل الملل والنحل الذي يفسرون القرآن بأهوائهم، فقال عنهم: (إن مثل هؤلاء اعتقدوا رأياً ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا من أئمة المفسرين لا في رأيهم ولا في تفسيرهم)[(٢)].

٥- ولا شك أن هذا المنهج لا يؤدي إلى الحقيقة القرآنية والحكم الشرعي الصحيح فضلاً عن حرمته والوعيد الشديد لمن قال في

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١٨٧

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية : جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ج ١٣ ص٢٥٨

القرآن برأيه: (ومن قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار)[1]. ومن الأمثلة على التفسير العلمي بالهوى وبغير دليل عد أحدهم في الإعجاز العددي ألفاظاً معينةً من الآية وترك ألفاظ أخرى منها، ومن ذلك أنه عدّ حروف "يا أيها الرسول"، وحروف ﴿يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[2]، فبلغ كل منها ١٢ حرفاً، وعد حروف اسم "علي بن أبي طالب" رضي الله عنه ١٢ حرفاً، وحكى إجماع الشيعة على أن هذه الآية نزلت في ولاية علي..."[3] رضي الله عنه.

٦- ويلاحظ الهوى في مثل هذا في صور عدة، منها أنه عد (يعصمك من الناس)، وحذف لفظ الجلالة والواو (والله)، فالآية: (والله يعصمك من الناس)، فحذف المبتدأ وجاء بالخبر مجرداً بل انتقى هذه الجملة من الآية كلها، وأيضاً فإن الجمل ذوات الإثني عشر حرفاً كثيرة جداً، فما سر هذه الجملة دون غيرها، وما سر تخصيص علي رضي الله عنه مع أن غيره أيضاً (١٢) حرفاً كمثل

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده جـ١ ص ٢٣٣ والترمذي في سننه جـ٥ ص١٩٩ كتاب تفسير القرآن وقال : " حديث حسن صحيح "..

(٢) سورة المائدة : الآية ٦٧

(٣) الكشوف : رضوان سعيد فقيه ص ٢٢٤-٢٢٥ عن مقولة الإعجاز العددي د.أحمد شكري ص ١١١ .

أبي بكر الصديق، وسعد بن أبي وقاص، وعبدالله بن عمر، وخالد بن الوليد رضي الله عنهم، بل ويزيد بن معاوية، وغيرهم كثير، ولكنه أراد تقرير عقيدته الإثني عشرية، ولهذا نراه ينتقي ألفاظاً وردت في القرآن اثنتا عشرة مرة على عدد أئمتهم وحين وجد لفظة "النجم" ترد (١٣) مرة، حذف ﴿ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴾[1]، ورجح أن النجم هنا هو الشجر الذي لا ساق له.

٧- الالتزام بذكر الحقيقة العلمية وعدم الغلو في النتائج إلى ذكر الغرائب والعجائب البعيدة عن الواقع وما لم يدل عليه النص؛ وعليه الالتزام بحد التوافق بين النص القرآني المحكم والحقيقة العلمية مهما بلغت درجة ثبوتها وأن ثبوت الحقيقة العلمية القطعي لا يعني جواز ربطها بالنص القرآني بكل أجزائها، ما وافق منها النص وما لم يدل عليه؛ ومن الغلو في النتائج وعنونتها ما نلاحظه من ظاهرة عند بعض من كتب عن الإعجاز العلمي تظهر باختيار عناوين لا تخلو من شطح مثل: (حل رموز الشيفرة القرآنية)، و(سر الوجود)، و(الرسالة الخفية للقرآن)، و(لغز فواتح السور)، وكأن القرآن طلاسم وألغاز.

---

(١) سورة الرحمن .

٨- أن لا يخالف التفسير نصاً آخر من القرآن أو صحيح السنة، ورد النصوص بعضها إلى بعض، لأنها وإن اختلفت مواضعها فموضوعها واحد متحد لا تعارض بينها ولا اختلاف.

٩- التفسير يجب أن يكون بمقتضى اللغة العربية ومدلولاتها وقت نزول القرآن الكريم، فقد نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين في ذلك الوقت وأي معنى لا يدل عليه اللفظ بهذا المقتضى فلا اعتبار له ولا يصح أن يفسر القرآن به، فلا تفسر الذرة في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧﴾[1] بالذرة النووية، ولا تفسر السيارة في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ﴾[2] بالسيارة المعروفة الآن.

١٠- عدم الخوض في المتشابه الذي لا يمكن أن يعلمه إلا الله مما لا يمكن الوصول إليه ولا معرفته وإنما امتحن الله به البشر أو أخفاه عنهم لحكمة، ومن العبث محاولة ذلك وتسمية تلك الأعمال بأسماء لا تخلو من إثارة للفت الأنظار، أو للترويج للنشر، مثل: (حل رموز الشيفرة القرآنية)، و(لغز فواتح السور)، ونحو ذلك، وكذا الخوض

(١) سورة الزلزلة : الأية ٧ .

(٢) سورة يوسف : الآية ١٩

في القضايا النقلية السمعية، التي لا تخضع للنشاط الذهني؛ بل تعتمد على النصوص الواردة فيها من كتاب الله تعالى وسنه الرسول ﷺ.

١١- الابتعاد عن تسفيه آراء السلف في التفسير والحديث وغمطهم الحق ورميهم بالجهل؛ لأن القرآن والسنة خطاب للناس في كل جيل، ولا يمكن أن يخفى المعنى الصحيح على أهل كل عصر لأن الأمة عصمت عن أن تجتمع على ضلالة، ومن السفه أن يكرر بعض الباحثين القول أن هذا القول لم يصل إليه أحد قبلي منذ ١٤٠٠ عام، أو أن يقول أني لم أسبق إلى هذا القول، أو وقد عاش الناس أربعة عشر قرناً وقد خفيت عنهم هذه الحقيقة، ونحو هذه العبارات التي تنبئ عن سفه قائلها، وضعف علمه، ودينه، وأحسب –ونسأل الله السلامة– أن مثل هذه العبارات لا تقف بصاحبها عند هذا الحد، بل تقذف به في مهاوي الضلال، وقد حاورت أحدهم في هذه العبارات وأنهيت الحوار حين قال: أنه توصل إلى أن آلاف الأحاديث –كذا– في الصحيحين موضوعة وليست ضعيفة فحسب، قال ابن تيمية –رحمه الله تعالى-: "وكل قول ينفرد به المتأخر عن المتقدمين و لم يسبقه إليه أحد منهم فإنه يكون خطأ"[1]،

---

(١) الفتاوى الكبرى : ابن تيمية ج٢ ص ٧١ ومجموع الفتاوى : ج ٢١ ص ٢٩١ وأسندها ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد ص ١٧٨

وقال الإمام أحمد -رحمه الله تعالى-: "إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام"[1]، وقال ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: "من فسر القرآن أو الحديث وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين فهو مفتر على الله، ملحد في آيات الله، محرف للكلم عن مواضعه، وهذا فتح لباب الزندقة والإلحاد، وهو معلوم البطلان بالاضطرار من دين الإسلام)[2]، والغيرية التي يريدها - رحمه الله تعالى- غيرية المضادة لا التنوع، ولهذا قال في موضع آخر: "من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئاً في ذلك بل مبتدعاً..."، وقال: "... فمن خالف قولهم وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ في الدليل والمدلول"[3]، وقال ابن القيم -رحمه الله تعالى-: " إن إحداث القول في تفسير كتاب الله الذي كان السلف والأئمة على خلافه يستلزم أمرين: إما أن يكون خطأ في نفسه، أو تكون أقوال السلف المخالفة له خطأ، ولا يشك عاقل أنه أولى بالغلط والخطأ من قول

---

(١) سير أعلام النبلاء : الذهبي ج ١١ ص ٢٩٦

(٢) مجموع الفتاوى : ج ١٣ ص ٢٤٣

(٣) مجموع فتاوى : ج ١٣ ص ٣٦١ ومقدمته في أصول التفسير مع شرحها للدكتور محمد بازمول ص ١٩٠ -١٩٢

السلف"[1]، وقال ابن عبد الهادي: "ولا يجوز إحداث تأويل في آية أو سنة لم يكن على عهد السلف ولا عرفوه ولا بينوه للأمة، فإن هذا يتضمن أنهم جهلوا الحق في هذا وضلوا عنه واهتدى إليه هذا المعترض المستأخر، فكيف إذا كان التأويل يخالف تأويلهم ويناقضه، وبطلان هذا التأويل أظهر من أن يطنب في رده"[2].

وقد بليت الأمة في العصور الحديثة بناشئة فهموا أن التجديد هو مخالفة السلف والقول بما لم يسبقوا إليه، وإياك أن تفهم أن في هذا القول غلقاً لباب الاجتهاد بل فيه تأصيل وضبط لمساره فإن كانت المسألة حادثة أو لا يوجد للسلف فيها حكم أو رأي فيكفي أن يلتزم طريقتهم في الاستنباط، فلا يسلك مسلكاً مخالفاً لمنهجهم في الاستدلال، وبهذا يكون له سلف، أو يكفي أن يكون له سلف في أصل المسألة، فلا يخرج عن أصول السلف فيها، ولا شك أن باب التفسير كذلك يجب فيه إتباع تفسير الرسول ﷺ، وفهم الصحابة رضي الله عنهم لأنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة : ابن القيم الجوزية ج٢ ص ١٢٨

(٢) الصارم المنكي في الرد على السبكي : ابن عبد الهادي ص ٣١٨

الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين كعبدالله بن عباس، وابن مسعود رضي الله عنهم، وغيرهم[1].

١٢- اجتناب العبارات التي تشعر بأن الباحث يدافع عـــن القـــرآن، أو السنة، أو أنهما يحتويان ما يمكن أن يعبر عنه بالنقص أو الخطأ، فهو كـــلام الله الـــذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[2]، ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾[3]، وهو أسمى وأكرم وأعز من أن يحتاج إلى تغيير لفظة أو صرفها عن ظاهرها لتوافق نظرية علمية.

١٣- وذلك كله مشروط بألا تطغى تلك العلوم على المقصود الأول من القرآن، وهو الهداية والإرشاد.

١٤- أن تذكر تلك العلوم لأجل تعميق الإيمان والشعور الـــديني لـــدى المسلمين، والدفاع عن العقيدة ضد أعدائها، والدعوة إلى الإسلام، وأن تذكر على وجه يدفع المسلمين إلى النهضة، ويلفتهم إلى جلال

---

(١) مقدمة في أصول التفسير : ابن تيمية ص ٩٥ ومجموع الفتاوى ج ١٣ ص ٣٦٨

(٢) سورة فصلت : الآية ٤٢.

(٣) سورة هود : الآية ١.

القرآن الكريم ويحرك فيهم دافع الانتفاع بما خلقه الله لهم في هـــذا الكون[1].

١٥- ومن المهم جداً ألا تذكر هذه الأبحاث على أنها التفسير الـــذي لا يدل النص القرآني على سواه، بـــل تـــذكر لتوســـيع المـــدلول وللاستشهاد بها على وجه لا يؤثر بطلانها فيما بعد على قداســـة النص القرآني، ذلك أن تفسير النص القرآني بنظرية قابلة للتغـــيير والإبطال يثير الشكوك حول الحقائق القرآنية في أذهان الناس كلما تعرضت نظرية للرد أو للبطلان[2]، بل أؤكد على أن لا تذكر هذه العلوم على أنها تفسير للنص القرآني؛ وإنما تذكر للاســـتئناس بهـــا ولزيادة البيان والتوضيح وتقريب المعنى للأذهان ومخاطبة الناس بما يلائم أذهانهم ومعارفهم وعلومهم.

ذلكم مجمل ما أراه من ضوابط نحكم بها مسار التفسير العلمي حتى لا يشطح بصاحبه وهو يحاول التقريب بـــين المعنيَـــــيْن، أو التوفيق بين الدلالتين القرآنية والنظرية العلمية، فيخرج به عن حد السواء ويخرج به عن حد الصواب.

---

(١) انظر مناهل العرفان : محمد عبد العظيم الزرقاني ج١ ص ٥٦٩-٥٧٠ .

(٢) انظر مجلة كلية أصول الدين ، العدد الثاني ص ٥٨ ، مقال "نظرات في مدرسة التفسير الحديثة " د . مصطفى مسلم

وأختم حديثي:

بتوجيه رسالة أخوية إلى الأخوة الأفاضل القائمين على مركز دراسات الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، إلى التعاون والتنسيق مع الهيئات والجمعيات التي تعنى بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم لإنشاء رابطة خاصة تعنى بفحص وإجازة الدراسات والبحوث والكتب والمؤلفات الخاصة بالتفسير العلمي، وتمنح شهادة علمية شرعية أشبه ما تكون بالتزكية أو الإجازة، تثبت على غلاف الكتاب تعني أن هذا البحث قد تم فحصه وإجازته من الرابطة مما يعطيه قيمةً علميةً أكبر وتوثيقاً أدق؛ وإذا كانت المواد الغذائية ونحوها تخضع لمثل هذه الشهادات التي تعنى بالجودة، فصيانة تفسير القرآن الكريم أولى والناس أحوج إلى حفظ دينهم وكتابهم من حفظ كل شيء حتى الغذاء والله المستعان.

وختاماً:

إن القرآن أمانة في أعناقنا جميعنا نحن المسلمين مهما كان مجال تخصصنا فعلينا القيام بحقه وبيانه للناس والذب عنه، ولا يصح أن يحملنا حبنا للقرآن على الافتراء عليه ونسْب ما لا يصح إليه، فالذمة لا تبرأ والدين لا ينقى بمجرد حب مزعوم يحمل صاحبه على القول في القرآن بغير علم أو بما لا يثبت، ففي الحقائق العلمية القرآنية الثابتة ما يكفي وزيادة لإظهار مزايا القرآن وفضائله، وإعجازه للبشر أجمع، فنسأل الله السلامة والسداد والتوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.




برعاية معالي مدير الجامعة أ. د. سليمان بن عبدالله أبا الخيل
يسر مركز دراسات الإعجاز العلمي في القرآن والسنة دعوتكم لحضور
اللقاء العلمي: ضوابط التفسير العلمي
لفضيلة أ.د. فهد بن عبدالرحمن الرومي أستاذ الدراسات القرآنية بجامعة الملك سعود
بقاعة كلية أصول الدين الساعة التاسعة والنصف صباح يوم الاربعاء ١٤٣٤/١١/١٩هـ
شاكرين لكم تلبية الدعوة

المراجع والمصادر:

١ - اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: أ.د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الرابعة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢ - أسرع الحاسبين: عاطف علي صليبي، دمشق، الأوائل للنشر ٢٠٠٢م.

٣ - أهل الكهف بين العدة والمدة: عطية زاهدة، مطبعة الاعتصام، الخليل- فلسطين، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

٤ - تفسير جزء تبارك: عبدالقادر المغربي، دار مطابع الشعب مصورة عن الطبعة الأميرية، ١٣٦٦هـ.

٥ - الجامع الصحيح: للترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦ - خصائص القرآن الكريم: د. فهد بن عبدالرحمن الرومي، دار طيبة، الرياض، الطبعة السابعة، ١٤١١هـ.

٧ - دراسات في علوم القرآن الكريم: د. فهد بن عبدالرحمن الرومي، الطبعة الثامنة عشر، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

٨ - سير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي، أشرف على التحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت،الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.

٩ - الصارم المنكي في الرد على السبكي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي، تحقيق عقيل بن محمد المقطري، مؤسسة الريان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
١٠ - الفتاوى الكبرى: ابن تيمية، قدم له حسنين محمد مخلوف، دار المعرفة، بيروت.
١١ - الكشوف في الإعجاز القرآني وعلم الحروف: رضوان سعيد فقيه.
١٢ - مجموع فتاوى ابن تيمية: جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد، مطابع الرياض، الطبعة الأولى.
١٣ - مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين: جمع وترتيب فهد بن ناصر السليمان، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأخيرة، ١٤١٣هـ.
١٤ - مختصر الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة: ابن قيم الجوزية، تحقيق د. الحسن بن عبدالرحمن العلوي، مكتبة أضواء السلف، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
١٥ - مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية، تحقيق د. عدنان زرزور، دار القرآن الكريم، الكويت، الطبعة الأولى، ١٣٩١هـ.
١٦ - مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية مع شرحها: د. محمد بن عمر بازمول، دار الاستقامة، القاهرة.

١٧ - مقولة الإعجاز العددي دراسة نقدية: أ.د.أحمد شـــكري – دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـــ، والبحث المنشور في المجلة الأردنية الدراسات الإســـلامية، م ج عدد ٣، شعبان ١٤٢٨هـــ-أيلول ٢٠٠٧م.

١٨ - مناقب الإمام أحمد بن حنبل: أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـــ.

١٩ - مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

٢٠ - الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبـــائي، مؤســـسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية.

٢١ - مجلة كلية أصول الدين: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الثاني، مقال: (نظرات في مدرسة التفسير الحديثـــة)، د. مصطفى مسلم.